جيوفاني بوكاشيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندي

١٣١٣ — ١٣٧٥

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

ان المقارنة بين الكتابين تدفعنا إلى المقارنة بين الفن الأدبي في اللغة اللاتينية وبينه في اللغة الإنجليزية. يقوم الفن في اللاتينية على التصميم في القصة وعلى رسم حوادثها وعدم الاهتمام بأشخاصها.

أما في اللغة الإنجليزية فيعتمد على الأشخاص وجعل الفن متصلاً بهم وموسوماً بما في نفوسهم وطبائعهم من خير أو شر وتعاسة ونعيم. وعلى هذا الأساس يجد القارئ ما يبعث السأم في نفسه وهو يقرأ قصص كانتبارى، ولكن أشخاصها يبعثون في سأمه ما فيهم من حياة وحركة. أما في قصص دي كاميرون، فإن القصص رائعة والأشخاص أموات لا يتحركون. فالأشخاص في دي كاميرون غير مسؤولين مطلقاً عما يدور على ألسنتهم من حوار وقصص قد لا يتفق في كثير أو قليل مع احتشام الفتاة التي تقصها، حينما تتصل المعاني بالأدب الجنسي المكشوف الذي ضرب فيه بوكاشيو بسهم وافر. وليس في استطاعة الناقد إلا أن يسقط هذه الشخصيات من اعتباراتها الشكلية التي وضعت مرغمة فيها وعلى وجهها أقنعة مستعارة لا تتصل بها ولا تمثلها ... وناقل الكفر ليس بكافر، إذا أراد أن ينصفها ويدلل على مكانها من الحقيقة ...

لكن هذه الشخصيات في بعض أحاديثها خارج القصص تصورلنا المناظر الجميلة حول فلورنسا، والقصور المترفة، والدروج التي تجري فيها الأنهار تصويراً رائعاً ...

لم تقع حوادث القصص المائة في مكان واحد، وإنما وقعت في ثلاثة أماكن: أولها يبعد ميلين عن فلورنسا، وهو قصر باذخ تقوم على أطرافه حدائق غناء، وصواق جارية، وحقول خضر، وتلال منطاة بأشجار الفاكهة، وموقعه الآن على مقربة من قرية ستجيانو التي كانت تصلها طريقة ضيقة تبعد ميلين عن ناحية بورنالاكروز، وكان هذا القصر يقع في مزرعة تدعى بوجيو جراردو وهي حصة مارجريتا زوجة أبيه من إرثها من أسرتها.

وفي نهاية اليوم الثاني بعد أن تم اختيار نيفيل ملكة لليوم الثالث اقترحت عليهم أن يزوروا مكاناً جديداً بالغت في مدحه، وهو قصر فخم على سفوح تلال الفيزول ويسمى فيلا بالميري ...

وفي مساء اليوم السادس، وكان يوماً من أيام الربيع، وبعد الانتهاء من القصص، وكانت قصيرة، وبينما كان الرجال الثلاثة منهمكين في لعبة الغرد، أشارت أليسا من طرف خفي إلى سواحبها الست، فتجمعن واقترحت عليهن الذهاب إلى مكان جميل جداً يدعى لانلا ويلدون. وبعد مسيرة ميل واحد وصلن إلى مجرى يسيل منه ماء عذب رقراق كالبلور، وكان السهل الذي يجري فيه ذلك المجرى عبارة عن دائرة قطرها نصف ميل تحيط بها ستة تلال وينبع من بين تلين، ويكون في طرف السهل بركة لا يزيد عمقها من بضعة أقدام. وقد أغراهن صمت المكان والماء فنزعن ملابسهن وابتدأن في الاستحمام، ولا تزال هذه البقعة تدعى بالإسم نفسه حتى الآن ...

ونعود الآن إلى القصص نفسها فنرى أنها تعود في أصولها إلى المصريين القدماء والعرب والفرس والفرنسيين. ومن المحقق أن بوكاشيو لم يعرف مصادرها، وإنما سمعها في نابولي وأنحاء إيطاليا، ولعل ثلثها يعود في أصوله إلى المصادر الفرنسية وقسما إلى الهنود والفرس، والقليل إلى المصادر اللاتينية. إننا نستطيع توجيه التهمة نفسها إلى شكسبير وتشوسر وتهمهما بالنقل وعدم الإبداع. ولكننا حين نوجه التهمة نفسها إلى بوكاشيو نقول واثقين إنه لم يعرف تلك المصادر، وإنما رأى فيها عملا إبداعياً أصيلا ...

إنه كتاب يتصل بالناس كما تتصل بهم الحياة، يتصل بهم في الجد واللهو، في الفضيلة والرذيلة، في الشر والخير، في التهكم والمجون، وهو إلى جانب ذلك مفعم بالمجازفات والمآسي والأفراح والنهايات التي يلعب الحظ فيها دوراً كبيراً، وهو في تفصيله مجموعات من الحقائق الصحيحة أضفت عليها عين الفنان اليقظة ثوباً قشيباً تراءت فيه أعمال الناس وعاداتهم وطبائعهم في ذلك العصر واضحة جلية ... إنه البؤرة التي انعكست عليها الحياة بكل

ما فيها من مظاهر ... فهو كتاب قريب إلى الإنسانية أكثر من أي كتاب آخر لدانتي أو تبرارك ، حتى قصص شوسر ، فإن الإنسانية فيها غير كاملة حيثما تتصل بالحب وما يدور وراء النفس الإنسانية من شعور مكبوت ...

وتقسم هذه القصص بتنوع صور الحياة التي عبرت عنها ، فهي تكشف لنا القناع عن عدد من المتهورين المجازفين ، ومن الحياة الخاصة التي يحياها وراء الستار عدد آخر من الناس تعرفهم على حقيقتهم المعرفة الصحيحة ، وهذا هو فن بوكاشيو ، لأن هذه القصص لم تكن عملا إبداعياً ولا دراسة للأخلاق ، وإنما هي قصص تختلف في طولها وقصرها باختلاف الموضوع الذي تتصل به من مجازفات ، أو حب غير مشروع ، أو راهب ، أو امرأة ؛ إما للتسلية أو إثارة الضحك وإشاعة السرور ، أو جواب مختصر لتوبيخ شخص ، أو لدفع خطر جسيم . ومهما كان نوع هذه القصص ، على روعتها وشهرتها فإنها ليست الدافع الوحيد الذي يدفع المولعين بديكاميرون إلى قراءتها المرة بعد الأخرى في رغبة وسرور.

إن سر خلود هذا الكتاب هو الجماهير الحية التي تتحرك فيه . هناك شخصيات أخرجها فنه فيه حية وبقيت كذلك وستبقى إلى يوم يبعثون تثير في قرائها الدهشة والإعجاب إثارة لا تقل عما تفعله شخصيات شكسبير الخالدة فينا ... لقد عاشت للأبد لأن الفن الخالد حملها إلى عالم الخلود ...

إنه صورة مصغرة للدنيا ، ومرآة انعكست عليها حياة الناس في ذلك الزمن ، إلا أن المثالية والهدف السامي الذي يرفع الأمين إلى النور ، ويجعل للعمل الفني قيمته التي لا ينكرها أحد ، لا توجدان فيه .

أما الأدب المكشوف والتعابير الجنسية الساخرة التي تفيض بها القصص فترده إلى الأصول الفرنسية التي نقل عنها وهذبها كثيراً — ومن المحقق أن التعبير عن الأدب الجنسي المكشوف في ذلك الوقت ، كما هو الآن غير مألوف ولا مستساغ — لكن بوكاشيو جعل منه فناً أبدع فيه أيما إبداع ، وأخرجه من مكانه المستور من حياة الأفراد والجماعات ورجال الدين إلى الحياة اليومية وجعله ملموساً مألوفاً يتحدث عنه سهلا كأنه يتحدث عن شيء لا يتعارض مع قيم المجتمع الروحية والخلقية .

إن كل ما في الكتاب مبالغ فيه ، وخصوصاً الموضوع الجنسي الذي أسرف فيه إسرافاً عظيما ، فصور الشبان والشابات غارقين في الإثم والفجور والخلاعة إلى أبعد الحدود ، وصور الزوجة تلهو ما شاء لها اللهو والزوج غير مكترث بما يدور حوله ، وصور رجال الدين لا يعملون شيئاً عدا الانقياد للشهوات والسير وراء مطالب الجسد ... يصور كل ذلك في تهكم لاذع وقسوة متناهية ... !

والدافع الأساسي الخفي الذي دفعه إلى ذلك — كما أعتقد — هو طفولته الأولى ، فعند ما فتح عينيه في الحياة ووجد أنه ابن غير شرعي لأبيه ... وحينما فهم ما يدور حوله من حقائق ، وأدرك قيود الكنيسة والمجتمع ، وإنه غير مسؤول عن خطأ أبيه ، جرد القلم لينتقم لأمه جان ، فجعل نساء عصره ساقطات ، وتلفت إلى رجال الدين فتأثر منهم بما يضطرم في قلبه من ألم وحقد وحرمان .

وعلى هذا الأساس ، لا يجمل بنا أن نحكم على نساء عصره بالحكم الجائر الذي أصدره عليهن في قصصه ، ولا يصح كذلك أن نتصور رجال الدين من الرهبان والقساوسة غارقين في الفجور كما أرادهم أن يكونوا ، ومع ذلك فلا يعني أننا ننفي نفياً باتاً من المجتمع في عصره بعض الصور المخجلة التي صور فيها الرهبان والنساء ... لقد كان فناناً لا يشق له غبار في « الكوميديا » ، وتربة صالحة من هذا النوع تنموفيها بذور التهكم والمجون والعبث .

ويجدر بنا أن نشك كثيراً في صحة هذه القصص . إن الرذائل تثير عادة ضجة أكثر من الفضائل . ورجال الدين في القرن الرابع عشر في إيطاليا كانوا يمدون أنحاء الكرة الأرضية بالمبشرين الذين ملهم الحماسة والعقيدة لنشر دينهم بين الشعوب ، وإيطاليا نفسها كانت المكان الوحيد الذي اشتهر بالقديسين ، فلا يعقل — والحالة هذه — أن يسوء سلوك رجال الدين إلى هذا الحد دون أن يكون له رد فعل سيء على الكنيسة في إيطاليا وخارجها . ولكن هذا لا يمنع من وجود طبقة غير نقية السمعة اختلطت برجال الدين نشوهت سمعتها لأنه لم يسبق لأحد أن يشك في أخلاق الناس في القرن الثالث عشر بسبب جحيم دانتي ، وتمشياً مع ذلك ، لا يجوز أن نحكم على أخلاق الناس في القرن الرابع عشر بسبب قصص ديكاميرون .

إن هذا الكتاب والكوميديا الإلهية يعبران تعبيراً صادقاً بحكم ما فيهما من قوة وحيوية ونشاط عن العصر الذى ولدا فيه ، وعلى ما كان عليه ذلك العصر من حركة ووعى .

إن انتشار دى كامرون وحماس الناس له ، لم يحولا دون النقد الشديد الذى وجه إليه فى ذلك الزمان ، ونجد دليلا على ذلك فى مقدمة اليوم الرابع وفى نهاية الكتاب . لقد قاومته الكنيسة مقاومة عنيفة ، لكن سلطانه غلب سلطانها ، فكان ينتشر فى أوربا وانجلترا ، كما تنتشر النار فى الهشيم . ويعتبر فى نظر النقد أعظم أثر نثرى كتب فى اللسان القشتالى ، وأسلوبه غاية فى الجمال وغاية فى التعقيد ... ولكن من يستطيع أن يهاجمه ؟ لقد مكن لنفسه فى عصور التاريخ فى نفوس البشر ، لأنه صرخة مدوية من أعماق الإنسانية على مر العصور !

إن مخطوطات الكتاب الأصلية قد نفدت ، وإن أقدم مخطوطاته تلك التى كتبها فرنسسكو مانيلى فى سنة ١٣٦٨ . والنسخة الخطية المحفوظة فى برلين باسم هملتن هى المعتمد عليها .

لقد أعيد طبع هذا الكتاب عشر مرات فى القرن الخامس عشر وسبعة وسبعين طبعة فى القرن السادس عشر ، ولم ينشأ أديب فى إيطاليا إلا وتتلمذ على هذا الكتاب فى عصور أدب هذه اللغة ...

أما نصيبه من الذيوع خارج إيطاليا فكان عظيما جداً ، فقد تتلمذ عليه موليير ولافونتين وهانس ساكس ولوب دى فيجا . أما فى انجلترا ، فقد نقل عنه كثير من الأدباء والشعراء ، وكان الموحى الذى استوحوا منه أدبهم الخالد ، منهم تشوسر وسدنى وشكسبير ودريدن وكيتس وتنسون ، الأمر الذى يظهر مقدار ما تدين به انجلترا لبوكاشيو !

إن أدب اللغة الإنكليزية لا يعرف كتاباً نثرياً أصيلا ، ويرجع ذلك إلى أن النوراة قد أصبحت جزءاً من الأدب المنثور فى هذه اللغة ، ولكن « إتام » يقول : « إن كثيراً من قصص ديكامرون كانت تنتشر بين الناس أكثر من قصص التوراة نفسها » .

لقد ظهرت كثير من قصص ديكامرون مترجمة إلى الإنجليزية فى القرن السادس عشر . وفى عام ١٦٢٠ ظهرت الترجمة الكاملة لهذا الكتاب منقولة عن اللغة الفرنسية ترجمة أنطيون لاماكون ، لكنها لم تكن دقيقة كما يجب ، وقد قام الناشر إسحاق جكارد بطبع هذه الترجمة فى مجلدين ، ولم تكن تحمل اسم المترجم ، وأعيد طبع هذه الترجمة خمس مرات فى القرن السابع عشر .

ولم تظهر الترجمة الدقيقة الوافية لهذا الكتاب إلا عام ١٨٨٦ ، فقد نقلها المستر جون بن لجنية فلون .

أما الترجمة التى تتداولها الأيدى وانتشرت فى الأسواق ، فقد قام بها المستر « ج . م . رج » ، وهى دقيقة ، ولعلها أقرب الترجمات إلى روح هذا الكتاب القيم .

(بغداد) صالحة النقشبندى

جامعة فاروق الأول بالإسكندرية

(إدارة شئون الطلبة)

تعلن جامعة فاروق الأول أن شروط ومواعيد تقديم طلبات قبول الطلاب المستجدين فى كليات الآداب ومعهد الدراسات الاجتماعية بها ، والحقوق وقسم الدراسات العليا بها ، والطب ومدرسة الممرضات بها ، والعلوم ومعهد الكيمياء الصناعية بها ، والهندسة ، والزراعة ، والتجارة للعام الجامعى ١٩٥٠/٤٩ نشرت بالتفصيل فى ملحق عدد الوقائع المصرية رقم ١٠١ الصادر بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٤٩ .

فعلى راغبى الالحاق بإحدى هذه الكليات استيفاء أوراقهم وتقديمها للكلية المختصة طبقاً للمواعيد والبيانات الموضحة فى الاعلان الخاص بهذه الكلية والرجوع إليها أيضاً فى كل ما يتعلق بذلك من الاستيضاحات . ٢٥٣١